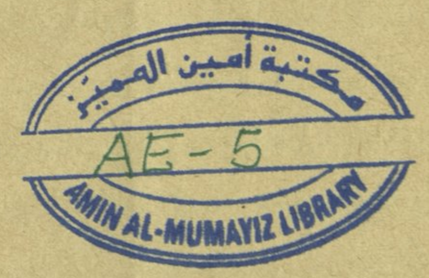
ارشاد المحتار
الى السبيل المختار

لصالح بن أحمد
نزيل المدينــــة المنوره



عبد الرحمن موس ، ونور حمد بمكة المكرمة
وصالح بن أحمد بالمدينة المنوره

مطبعة دار نشر الثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدىء المعيد الباعث الوارث الخالق المعبود الذى لا يعبد بحق سواه إله العالمين وقيوم السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما لا إله إلا هو وحده لا شريك له الواحد الهادى إلى صراطه المستقيم من شاء من عباده بفضله وأضل وخذل فريقا منهم بعدله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولا يكون فى أرضه وسمائه إلا ما يريد ويسر الكل لما خلق له ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والأنبياء سيد البشر فى الأولى وفى المحشر إمام المتقين المنزل عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الفارق بين أهل الحق والباطل من تمسك به كان من أتباعه المهتدين المقربين . ومن خالفه كان من أعدائه الضالين المخذولين المبعدين وجعله سبحانه وتعالى نوراً يهتدى به وحكما بين عباده المتبعين وحجة على عباده المعرضين أتباع كل ناعق سبحانك الواحد المنان لولاك ما اهتدينا ولا درينا فلك الحمد عدد ما خلقت وزنة ما خلقت وعدد كلماتك وزنة عرشك والصلاة والسلام على نبينا محمد عدد ذلك ، فسبحانك من إله يفعل ما يشاء ويختار اللهم لا مضل لمن هديت ولا هادى لمن أضللت اهدنا فيمن هديت إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه الكرام البررة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ربنا لا علم لنا

إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إنك أنك الوهاب .

ذكر ما عاينه المحتار وتحيره منه

أما بعد فكأنى برجل محتار يقول لى أنى لا أدرى بأى دين أدين الله الله سبحانه وتعالى لما أرى من أهل كل دين مالا يطمئن له القلب السليم وقد خالطت أهل الأديان كلهم وقرأت كتبهم وسمعت أقوالهم ورأيت أفعالهم فوجدت النصارى تقول الله ثالث ثلاثة ويجعلون له صاحبة وولدا والله يقول لنبيه «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد» ، وقال أيضا «لم يتخذ صاحبة ولا ولدا» ، فبعد زعمهم أنه إله يقولون قتله اليهود عجبا من عقول تتخذ إلها لا يغنى عن نفسه شيئا وتقتله عبيده ووجدت اليهود يقولون عزير ابن الله والله سبحانه وتعالى يقول «لم يلد ولم يولد» ، وأخبر عنهم سبحانه وتعالى أيضا بأنهم جعلوا التوراة قراطيس يبدونها ويخفونها يعنى أنهم بدلوا وغيروا التوراة حسب رغبتهم أبدوا ما وافق هواهم وأخفوا ماخالفها ، فلعنة الله على الظالمين. وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوهم وإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوهم» ، وما ذلك إلا للتغيير والتبديل الذى أحدثوه فى التوراة والإنجيل كما يدل عليه آخر الحديث ، ولم أرض لنفسى دينا خليطا بكذب لا يدرى صحيحه من كذبه ، ولقد صدقت اليهود والنصارى حين قال كل فريق منهما للآخر ليس على شىء قال تعالى مخبرا عنهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) ، ورأيت دين المجوس فاذا هو ليس بشىء

وجدتهم يعبدون البقرة التى يعلفونها بأيديهم ولا تستغنى عنهم يوما من الأيام فقلت بئس المعبود المفتقر إلى عابده، ووجدتهم أيضا يعبدون النار التى يجمعون حطبها ويكسرونه بالفؤوس ويوقدونها فاذا شاءوا إطفاءها أطفؤوها فقلت بئس المعبود يحيه ويميته عابده .

فالحاصل ظهر لى باختلاطى مع أهل هذه الأديان بطلان دينهم فتركتها ثم اخترت لنفسى عن الأديان كلها دينا حنيفا سليما من الخلط دين المسلمين لأنى وجدت كتابهم محفوظا بحفظ الله سبحانه وتعالى له لم يغير ولن يبدل باق كما أنزل فآمنت به وبمن جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، ولكن جاءتنى الحيرة مما أرى من جهة أهله من أوجه عديدة .

أولا — أراهم متفرقين فى دينهم أحزابا شتى وكل حزب منهم يرى أنه أهدى سبيلا من غيره حتى خيل لى أن دين الإسلام متعدد ولكن يمنعنى ويعارضنى فى هذا الفهم وهذا الاعتقاد استحالة تعدد الحق والتناقض فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . والله سبحانه وتعالى يقول « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ثانيا — أراهم فى مشارق الأرض ومغاربها مستضعفين خاملين تحت ذل (الأوربيين) عدا بعض من فى جزيرة العرب حفظها الله فى غابر الزمان وأرجو أن يحفظها سائر الزمان إنه على كل شىء قدير ونعم المولى ونعم النصير.

ثالثا — أراهم متباغضين بغضا شديدا ولو بغضوا النصارى كبغض بعض الفرق منهم لما نولتهم النصارى .

رابعا — أراهم يهرعون إلى تقاليد الأوربيين فى الزى والعادات وما شاكلهما مما لا يرجع إليهم بالنفع لا فى دينهم ولا فى دنياهم بل ضرره أكبر من نفعه ولم أر الأوربيين يتزيون بزى عربى ولا بزى سائر المسلمين ولا يقلدون عادات المسلمين إلا فيما لهم فيه منفعة دنيوية وقوة وتقدم كالاستعداد بالأسلحة وتعلم الرمى وانضمام بعضهم إلى بعض والاجتهاد فى التآلف والتكاتف للقاء عدوهم ولو مؤقتا والإخلاص لدولتهم يرى كل فرد منهم كأن الملك ملكه ويسهر لتقويته كسهر أكبر شخص فى الدولة ويجعل مصالح نفسه فدى لدولته ، ومن العجائب أن أرى بضع أنفار من النصارى فى قطر فيه ملايين من المسلمين يؤثرون فى أخلاق المسلمين والمسلمون مع كثرتهم لم يؤثروا على أولئك الأنفار القلائل، وهذه الصفات فى الأصل هى من صفات المسلمين ومن تعاليم الاسلام ومحاسنه أخذوها من المسلمين وتقووا بها عليهم .

والعجب الثانى أن أسمع من كثير منهم يقولون أن الافرنج أفسدوا دين المسلمين ، وكان الواجب بدل أن يلوموا الإفرنج يلومون أنفسهم ويرجعون إلى دينهم الحنيف لأن الافرنج رجال وهم رجال يدعون إلى دينهم فاللوم على من اتبعهم لا على من دعا إلى دينه فمن المعلوم أن صاحب كل دين يدعو إلى دينه فياحبذا لو نجد من المسلمين من يفعل ذلك. والمقصود أن الأوربيين أخذوا من المسلمين ما يرجع لمصالح دنياهم ويحقق لهم به سبب السيادة على غيرهم وقد حصل لهم ذلك.

والمسلمون أخذوا من النصارى سفاسف الأمور والتقاليد الفارغة والتفرق الذى كان فى الأوربيين ولم تعل هممهم لأخذ الصناعات الراقية النافعة ذات الشوكة ليتقووا بها ويحرروا بها أنفسهم من أعدائهم وترجع لهم بها سيادتهم ومجدهم وتهابهم أعداؤهم حيثما كانوا كما كان سلفهم — وما ذلك على الله بعزيز لمن جد واجتهد — وما أكثر ما أرى المبتدع فى دين الاسلام ولم أر واحدا منهم ابتدع شيئا من أمر الدنيا لينفع به المسلمين .

طلب المحتار حل ما أشكل عليه

والجواب عما طلب المحتار

(س) أخبرنى بالاختصار عما ذكرت لك .

(ج) أقول وبالله التوفيق كل دين عدا دين الاسلام فهو باطل سواء ارتكب أهله ما ذكرت وأمثاله أم لا لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

ولا يهولنك عن الاسلام الأشياء التى ذكرتها عن المسلمين لأنها من عيبهم لا من عيبه .

أما التفرق الذى حدث فى المسلمين حدث بترك الكتاب والسنة استدراجا شيئا فشيئا بسبب ترك ألفاظ النصوص الشرعية واشتقاق ألفاظ غير ألفاظ النصوص وركون كل فريق منهم على تلك الألفاظ المحدثة الخالية عن ذكر الدليل وتدوين كل فريق منهم الألفاظ المسموعة من علمائهم كتدوين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعكوف عليها ونقل ذلك الخلف عمن

سلفهم بدون ذكر الدليل حتى أصبحت تلك الكتب مع طول الزمان عند من خلفهم عوامهم وخواصهم بمنزلة الكتاب والسنة بل يردون حكم الكتاب والسنة إذا خالفا مافى تلك الكتب المدونة بزعم أن مافى تلك الكتب هو وفق الكتاب والسنة وإنما هم يجهلون الدليل الذى أخذ به إمامهم وان أئمتهم لو سئلوا عن أى دليل بما فى كتبهم لأتوا به لأنهم لم يقولوا شيئا إلا بالدليل لديهم فعلى هذا الوهم يردون النصوص الواضحة التى بين أيديهم لفلابدّ، ولعل عند إمامهم دليل يجهلونه مع أن أحد هؤلاء المساكين لو رد القاضى بينته الحاضرة العادلة لبينة خصمه الغائبة فى الحقوق التى تحتاج إلى بينتين بينة المدعى وبينة المدعى عليه وحكم عليه الحاكم لخصمه بدون بينة شهدت لديه بل بزعم أن مثل هذا الخصم لم يدع أو لم ينكر إلا بينة عنده لكونه علامة ورجل صالح تجده لم يرضه حكم الحاكم ولنسب الحاكم إلى الظلم ويظل ساخطا على الحاكم طول عمره ولو كان المحكوم له امامه أو مثله لرد بينته الحاضرة العادلة للبينة الموهومة وكل ذى عقل يوافقه أنه مظلوم إلا أن المظلوم بنفسه غير منصف لأنه يصوب نظائر هذا الحكم فى غير مصلحته الدنيوية .

ولعل القائل أن يقول ليس هذا هو سبب التفرق وغير صالح أن يكون هذا سببا أو يقول التفرق كان قبل هذا ، أقول بل هو هذا السبب الأكبر وكل سبب داخل تحته ولو أضيفت الأحكام إلى الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم كما كان فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وقالت العلماء فى فتياها الله أمر بكذا ونهى عن كذا ، والرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكذا ونهى عن كذا وفعل كذا لما تمكنت الناس من تدوين أقوال مشايخها

بل لم يجدوا لهم أقوالا يدونونها عنهم ويزيدون عليها لأن الأحكام أصبحت كلها منسوبة إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء التفرق إلا بنسبة الأحكام إلى أفراد الأمة خالية عن ذكر الله والرسول صلى الله عليه وسلم حتى صار هذا سببا لعندنا وعندكم، وكتبنا وكتبكم، وإمامنا وإمامكم قال تعالى: «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

كلام ابن القيم فى ضمن الجواب

وقد أشار الامام بن القيم بنحو هذا فى الفائدة الاولى من الفوائد السبعة بقوله: ينبغى للمفتى أن يفتى بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل عليه فى أحسن بيان. وقول الفقيه المعين ليس كذلك. وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على مناهجهم يتحرون ذلك غاية التحرى حتى خلف من بعدهم خلف رغبوا عن النصوص واشتقوا لهم ألفاظا غير ألفاظ النصوص.

(فأوجب ذلك هجران النصوص ومعلوم أن تلك ألفاظ لاتفى بما تفى به النصوص، فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب).

ولما كانت هى عصمة الصحابة وأصولهم التى إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون لهم بالنسبة إلى من بعدهم كذلك وهلم جرا فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئلوا عن مسئلة يقولون: قال الله كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط فمن

تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما فى الصدور فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا فى أصول دينهم وفروعه قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما فى أصول دينهم فصرحوا إنما يحتج بكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الحشوية والمجسمة والمشبهة . وأما فروعهم فقنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التى لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن الإمام الذى زعموا أنهم قلدوه دينهم بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ويبيحون به الفروج والدماء والأموال على قول ذلك المصنف وأجلهم عند نفسه وزعيمهم عند بنى جنسه من يستحضر لفظ الكتاب ويقول هكذا قال وهذا لفظه فالحلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ما حرمه والواجب ما أوجبه ، والباطل ما أبطله ، والصحيح ما صححه هذا وأنى لنا بهؤلاء فى مثل هذا الزمان فقد دفعنا إلى أمر تضج منه الحقوق إلى الله ضجيجا ، وتعج منه الفروج والأموال والدماء إلى ربها عجيجا تبدل فيها الأحكام ويقلب الحلال بالحرام ويجعل فيه المعروف فى أعلى مراتب المنكرات ، والمنكر الذى لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات . الحق فيه غريب ، وأغرب منه من يعرفه ، وأغرب منهما من يدعو إليه وينصح به نفسه فطوبى له من وحيد على كثرة السكان وغريب على كثرة الجيران ، بين قوم رؤيتهم قذى العيون وشجى الحلوق ، وكرب النفوس وحمى الأرواح وغم الصدور ، ومرض القلوب إن أنصفتهم لم تقبل طبيعتهم الانصاف ، وإن طلبته منهم فأين الثريا من يد المتلمس فقد

انتكست قلوبهم ، وعمى عليهم مطلوبهم رضوا بالأمانى وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان وخاضوا بحار العلم ولكن بالدعاوى الباطلة وشقاشق الهذيان ، ولا والله ما ابتلت من وشل أقدامهم ولا زكت به عقولهم وأحلامهم ولا ابيضت به لياليهم ، وأشرقت بنوره أيامهم ولا ضحكت بالهدى والحق منه وجوه الدفاتر إذا بكت بمدادها أقلامهم أنفقوا فى غير شىء نفائس الانفاس واتبعوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الأصول فحرموا الوصول وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا فى مهامه الحيرة وبيداء الضلالة.

والمقصود أن العصمة مضمونة فى ألفاظ النصوص ومعانيها فى أتم بيان وأحسن تفسير . ومن رام إدراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه غير يسير انتهى كلام الامام ابن القيم بالاختصار رحمه الله .

والذى ذكره يشمل جميع الطوائف المتحيزة النابذة للكتاب والسنة العاكفة على كتب علمائها وأقوالهم الرادة ما عدا ذلك بدون بصيرة .

والقول الفصل هو أن الله سبحانه وتعالى أمر هذه الأمة المحمدية أن تتبع رسوله الذى أرسله اليها كما أمرهم أن يؤمنوا به وعلق تمام إيمان أحدهم باتباعه صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وقال تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » قال العلماء معناه إلى الكتاب والسنة . وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال تعالى : « وإن هذا

صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وقال تعالى: « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقال تعالى : « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله » وقال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقال تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وقال تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وأن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » كرر سبحانه هذه الآية ثلاث مرات في حكم واحد إظهاراً لعظم مخالفة الله والرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الأحاديث فالأول منها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يارسول الله . قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) رواه

البخارى . وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كانها موعظة مودع فأوصنا قال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

« وعن مالك رحمه الله قال بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم » و « عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى » إلى آخر الحديث رواه مسلم . وفى رواية « ألا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله وهو حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » إلى هنا فيه الكفاية ولا حاجة لنا لسرد جميع الأدلة الواردة فى ذلك لأن الكتاب والسنة كليهما يقتضيان بعد الشهادتين بوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم بمنطوقهما ومفهومهما .

والناس قسمان أنبياء وغير أنبياء ، وتابع ومتبوع فالأنبياء هم المتبوعون وغيرهم تابع لهم مهما عظم قدره ولا يعظم قدر الإنسان عند الله إلا باتباعه الأنبياء صلوات الله عليهم ويكون قدر امرىء عند الله على قدر اتباعه للأنبياء صلوات الله عليهم والعكس بالعكس . والله الموفق للصواب .

وأما الثلاث المسائل الباقية عن الأربع المسائل التى سألت عنها فكلها ترجع إلى نتيجة التفرق المذكور فى دين الله سبحانه وتعالى الذى جعله كالرحم بينهم وسماهم به إخوانا بقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » و « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » متفق عليه . وعنه أيضا قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : انصر أخاك ظالما أو مظلوما » رواه البخارى و « عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه . و « عن نعمان بن بشير رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه . وفى رواية لمسلم « المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » وهذا التشبيه تشبيه عظيم جدا لربما لا توجد هذه الصفة فى الأخ الشقيق .

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا فلنختصر على هذا هكذا كانت صفة المؤمنين قبل أن يتفرقوا والآن لما تفرقوا لا تجد مسلما يتأثر لمسلم ، وأولئك رضى الله عنهم كانوا يتأثرون ولو لغير مسلم لأقل سبب بينهم ، ومن ذلك لما غلبت فارس الروم حزنوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما

كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان .

فبالتفرق فى الدين الذى كان سببا فى إخوتهم قطعوا الاخوة الدينية فيما بينهم وأصبح كل فريق منهم كأهل دين مستقل بكتابه ونبيه وطبعا كل واحد من الفرق يحبذ ويؤيد ما هو عليه وحزبه بالحق والباطل بدون التفات إلى دليل من الله ورسوله ويخطىء ويضلل من يخالف حزبه ولا شك أن هذا من مقتضيات التفرق والتحزب فمن إضلال بعضهم لبعض تولدت العداوة والبغضاء بينهم واشتغلوا فيما بينهم بكل مااستطاعوا حتى دخل الهون والضعف فى جميع الأحزاب فصاروا غثاء كغثاء السيل كما أخبر عنهم النبى صلى الله عليه وسلم قبل وجودهم قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قال : قائل يارسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهة الموت » أخرجه أبو داود .

بلى وربى نحن أولئك القوم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك ترى أحدنا يكره القدوم إلى معركة القتال فرقا من الموت ، فلو دعى اليها يوما لبذل جميع ما فى وسعه من الجهد واجتلب أعذار الدنيا للتخلص مما دعى اليه فكأنه خالد فى الدنيا ما لم يمت فى المعركة كلا فليس بمخلد فيها ولا المعركة معجلة له بالموت قبل وقته ، وترى أحدنا لا يهمه إلا التكالب والتلهف والتحيل لتحصيل عرض الدنيا كأنه خلق لجمع المال وكل من رزقه

الله منا مالا قمنا بمدحه ورأينا له الفضل بذلك بقطع النظر عن طريق اكتسابه وفيما ينفقه . والشخص السعيد الذى ينبغى أن يغبط ويذكر ويشكر هو من يسعى لمصالح العامة ، وإنقاذ الأمة من يد الاعداء ودان نفسه وعمل لما بعد الموت .

وأما معرفة المصالح الذاتية فكل واحد يحسنها حتى العنكبوت التى هى أضعف الحيوانات فانها تعرف كيف تحتال على الذباب وتصطاده ، وربما لا يستطيع بعض الناس أن يحتال على الصيد كاحتيالها ، ففطن الأوربيون للتفرق والوهن اللذين حدثا بالمسلمين فانتهزوا الفرصة بهما وألبوا عليهم من كل ناحية وتغلبوا عليهم بدون قتال لأنهم وجدوهم قد ذهبت ريحهم عزلا خارجين من حصنهم المنيع أعنى الكتاب والسنة ومفتتنين فيما بينهم وأما عدم تقليد الأوربيين للمسلمين فى الزى والعادات فمن المعلوم بالضرورة أن المستضعف لم يكن له اعتبار فضلا عن أن يستحسن حاله وتقلد أقواله وأفعاله، وإنما يقلد المفضول الفاضل سواء كان الفضل بالعلم أو بالقوة والغلبة وأما ما أخذه الأوربيون من محاسن الاسلام فلم يأخذوه من المسلمين الذين تغلبوا عليهم وإنما أخذوا ذلك من كتب المسلمين وتاريخهم القديم .

وأما تقليد المسلمين للاوربيين تقليد الأعمى فلا غرابة منه لأنهم مهانون بأيديهم حتى هانت عليهم أنفسهم ، وما وجدوا عليه سلفهم ، ويرون الفضل للاوربيين لسيادتهم عليهم ، ومن المعلوم أن المستضعف تبع لقاهره ويستحسن ويتبع جميع ما يراه ويسمعه منه بدون تأمل ولا يميز بين الطيب والخبيث للذل الواقع به لأنه كالعبد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لهرقل

فى الكتاب الذى أرسله له « فان توليت فان عليك اثم اليريسين » وفى رواية « الاريسين » أى عليك اثم الاكارين الضعفاء من الرعية الذين يمتنعون عن الإسلام لامتناعك عنه كما قال الخطابى أراد أن عليه اثم الضعفاء والاتباع إذا لم يسلموا تقليداً له لأن الأصاغر أتباع الأكابر . فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى أعز هذه الأمة المحمدية بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، فان داموا ولاذموا على ما جاء به محمد دام لهم العز والشرف ، وإن تركوه واعتصموا بغيره فارقهم العز وأعقبهم الذل كما ترى . قال تعالى : « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وما دهى المسلمين ما دهاهم إلا بمخالفة ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم ، واتباع كل ناعق ، وهيهات عنهم العز مع مخالفة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، ألم يذكر هؤلاء يوم أحد ما أصاب الصحابة الكرام الذين كانوا يتفانون فى طاعة الله ورسوله صلى الله علية وسلم بمخالفة الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا متأولين نوع تأويل فيما صنعوا ، ولم يقصدوا المخالفة البتة وإنما فهموا أن الأمر بلزوم الجبل كان موقتا بوقت القتال ورأوا أن القتال قد انتهى بانهزام المشركين فان كان أصاب أولئك البررة ما أصابهم بمخالفة واحدة بسيطة للشارع صنعها بعضهم بنوع تأويل . فكيف يؤمل هؤلاء العزل النصر والعز وهم مستمرون ومصرون فى مخالفته صلى الله عليه وسلم من كل وجه ، ومع ذلك هممهم ثابطة لم يتخذوا للقتال أهبة بل لم تكن لهم نية للقتال ولا للدفاع عن أنفسهم إنما يتربصون مجىء المهدى لاخراج النصارى من بلادهم كما كانت يهود يستفتحون ويخوفون العرب بأنهم سيقتلونهم قتل عاد مع نبى سيبعث فى آخر الزمان ظانين أنه سيبعث على رغبتهم ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . فلا أدرى حال إخواننا

المسلمين إن صحت الأحاديث التى وردت فى حق المهـــدى ، وجاء طبعا أنه سيقاتل الناس ، وإخواننا المسلمين لا يريدون القتال وإنما يريدون أن تكون لهم غير ذات الشوكة وهيهات ذلك ، ويستحيل عرفا أن تفتح عليه البلدان بمجرد الدعاء أو بالفاتحة كما يقول بعضهم بدون قتال كما يظن كثير منهم وكما هو مستمر حالهم اليوم والله سبحانه وتعالى يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » واخواننا المسلمون أبدلوا ذلك بالدعاء كأن الله قال لهم أعدوا لهم ما استطعتم من الدعاء .

والاشتغال بالدعاء بدون الأخذ فى الاسباب هو تعطيل لحكمة الله تعالى ومعارض لها ، وفاعل ذلك كمثل القاعد فى بيته يظن أنه يقطع المراحل ويحج بدون أن يتحرك من بيته هيهات عنه ما يريد . وقد أحسن من قال :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فالله سبحانه وتعالى مع قدرته على كل شىء علق كل شىء بالأســـباب وأمر عباده بالأخذ بها والجد والاجتهاد كما كان يفعل رسـول رب العالمين سيد البشر ، كان صلى الله عليه وسلم يستعد بما استطاع من القوة ويغزوا أعداءه الكفرة ويصف الصفوف حين التلاقى مع العدو ثم يشتغل بالدعاء هو وأصحابه والخيل والرجال فى ساحة القتال يقتلون ويقتلون بما لا يحتاج إلى ذكر غزوة معينة .

ولو كانت دعاء مجردة عن الأسباب مشروعة ونافعة لفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكان دعاؤه أقرب إجابة لأن الله إنما يتقبل من المتقين وهو سيدهم ولغلب الكفرة حيثما كانوا بدون غزو ولا قتال ، ولم تكن له حاجة بأن يقف بعرفة فى كل موسم ويعرض نفسه على قبائل العرب ثلاث عشرة سنة أن يؤده ليبلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى بل ولم تكن له حاجة

إلى الهجرة ولكفاه دعاؤه وهو بمكة وهذا خادمه صلى الله عليه وسلم وهو من أهل الصفة أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمى يقول كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته فقال : « سلنى فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة . فقال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال : اعنى على نفسك بكثرة السجود » رواه مسلم . فلم يقل له صلى الله عليه وسلم ادع الله بدون سبب ولم يقل له أنالها كما يقول كثير من الجهلة الطرقية بل أرشده إلى ما يكون سببا للمرافقة وعونا لدعائه صلى الله عليه وسلم .

يا إخواننا المسلمين أنيبوا إلى ربكم وراجعوا دينكم وجدوا واجتهدوا ولا تقنطوا من رحمة الله ، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . ترون حتى اليهود الذين أذلهم الله حيثما كانوا مذ هموا بقتل عيسى وإن صارت لهم ذكرى فى بعض الأحيان فما هم إلا دخلاء غيرهم فى ذلك ومع ذلك لم يقنطوا من العز والسيادة ولم ترض أنفسهم بالذل المكتوب عليهم وأصبحوا يسعون بكل ما استطاعوا لطلب العز والسيادة خيبهم الله وهم أذل وأقل عددا منكم . فلا تكرهوا اجتماعهم فى الأراضى المقدسة قال تعالى (عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فلعل الله جامعهم وسائقهم لكم لدنو مجزرتهم المكتوبة عليهم التى يخبر فيها عن خبيئهم الجمادات كما جمعت هوازن بيدها ذراريها ومواشيها للصحابة الكرام فى حنين وقالت عائشة رضى الله عنها يوم بعاث يوم قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . والأوربيون الذين ترهبونهم هم رجال أمثالكم بل أقل منكم إن اتقيتم الله إن الله مع المؤمنين وترجون من الله مالا يرجون ، وإنما فاقوكم بالجد والاجتهاد فى العمل والاخلاص والمصابرة على الدأب ترونهم فى كل حادثة حرب تقع بينهم يهلك منهم ملايين من المال والأنفس ولم يمنعهم ذلك ويجنبهم عن الحرب مرة أخرى بل يزيدهم ذلك

نشاطا واجتهادا واستعدادا واختراعا فلو اجتهدتم بجهدهم وبذلتم كبذلهم لأدركتم ما أدركوا فى أقل وقت كما ترون اليابانيين أهل وثن لما اجتهدوا أدركوا الاختراعات الجديدة فى نحو نصف قرن فأصبحوا اليوم يقارمون أكبر دولة وتهابهم أكبر دولة فأنتم كنتم أولى بمثل هذا أيها المسلمون الأعزاء الكرام كيف ترضون بالذل الذى لا يرضى به من هو دونكم، والموت الذى تكرهونه فى المعركة هو واقع بكم لا محالة فى صف الكفرة فى الحروب التى تقع فيما بينهم ترون لا يموت واحد منهم حتى يموت أمامه مئات من المسلمين ولم يمت هذا المسلم المسكين فى صفهم إلا بأحد أمرين إما مكره أو لعرض بسيط من الدنيا لا يساوى عشر ما يأخذه النصرانى «وللآخرة خير وأبقى». فما دام الموت فى معاركهم واقع بكم فموتوا على دينكم من مات منكم يمت شهيدا، ومن عاش منكم يعش عزيزا سعيدا. كان موسلينى الإيطالى يقول فى خطبه (لأن يعيش الرجل كالأسد يوما واحداً خير له من أن يعيش كالنعجة سنة) فانظروا إلى همة هذا النصرانى الذى لا يبتغى من القتال إلا فخر الدنيا ولم يكن له نصيب فى الآخرة وأنتم لكم إحدى الحسنيين ولكن الآن يوجد رجال من المسلمين عندهم غيرة قومية ووطنية فلم يذعنوا لسيادة (أوربا) عليهم ويرون أنهم أكفاء للاستقلال وللدفاع عن أوطانهم فياحبذا لو ضموا مع ذلك موافقة سلفهم من الناحية الدينية لتكون عونا لهممهم العالية.

أما قولك ما أكثر ما أرى المبتدعة فى دين الإسلام ولم أر واحدا منهم ابتدع شيئا مما ينفع المسلمين أقول فهذا أيضا من نتيجة مخالفة الكتاب والسنة لأن التمسك بالكتاب والسنة بمنزلة الروح للجسد وهما عصمة المسلم فلما تركوا العمل بالكتاب والسنة تفرقوا ولم تبق فى القلب روح دينية تبعثهم لنحو ما ذكرت. وأما البدعة فمن المعلوم أنها تعقب السنة. وما ترك قوم سنة

إلا ارتكبوا بدلها بدعة كما جاء ذلك فى الحديث الذى أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ رسول الله هذه الآية « ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون » لأنه لم يبق فى قلوبهم نور إلهى يبصرون به ويميزون به بين الحق والباطل فاستحوذ عليها الشيطان فألقى ما شاء عليها من أمنيته ثم توارثت ذلك القلوب الميتة بعضها من بعض كما ترى فريقا منهم يدعون الصوفية يزعمون أن لهم طريقا إلى الله غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون أقوالا يثقل ذكرها على اللسان ويقولون نحن أهل الباطن وفى الحقيقة هم أهل الباطل الذى لا باطل بعده ، وفريقا منهم الطرقية يكذبون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون طريقتنا مروية عنه ويسندونها إليه بأسماء يسردونها من عند أنفسهم مما لا يعلمه أهل الحديث وفريقا منهم يزعم أنهم يأخذونها مباشرة عنه صلى الله عليه وسلم وهذا الفريق هو الغالب فى المسلمين اليوم والعجب كل العجب من بعض من ينتسب إلى العلم أنهم يأتون شيخ الطريقة الجاهل ليستأذنوه فى الذكر وهم يتلون ليلا ونهاراً قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً » بصيغة الأمر لا بصيغة الإذن وبعد أمر الله لهم بالذكر يطلبون الإذن من عبد الله الجاهل المبتدع قال ابن عباس رضى الله عنهما بعد تفسير الآية الله سبحانه وتعالى جعل لكل شىء حدا إلا الذكر ، وأخبر سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بما أعد لأهل الذكر قال تعالى « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » فيا أهل البصيرة هل بقى لنا شىء بعد أمر الله لنا به وإخباره بما أعده لأهله . اللهم أسمعنا وأبصرنا .

(س) فهل تجب على طاعة أحد بعد طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(ج) نعم تجب عليك طاعة أئمة المسلمين وأمرائهم ، وانها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تطيعهم ان أحسنوا أو أساءوا عليك : وفيما تحب وتكره مالم يأمروك بمعصية أو ترى منهم كفراً ظاهراً واضحا ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل لطاعتهم شأنا عظيما حتى قرنها بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك من مصالح المسلمين وانتظام أمرهم وجمع كلمتهم ولا مصلحة فى ذلك بدون طاعة كما قال أسامة بن زيد رضى الله عنهما حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية إلى الحرقات من جهينة قال: (أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا أمرى فانه لا رأى لمن لا يطاع) ثم رتبهم. ومن المعلوم بالضرورة ان الناس لا يصلحون أن يكونوا فى فوضى بدون امام عادل كان أو غير عادل إذا توفرت فيه الكفاءة ، ولا شك أنه إذا تيسر الكفء العادل لا يعدل عنه ابتداء فهو أولى بها من غيره . ولو كانت جماعة فى سفر فالسنة أن يؤمروا واحدا منهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يحل الثلاثة يكونون فى سفر إلا أن يؤمروا واحدا منهم » .

أثر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وكلام ابن تيمية فى الموضوع

ويروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال (لابد للناس من امارة برة كانت أو فاجرة قيل له هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة قال

يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود ويجاهد بها والموجود خير من المعدوم) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (فان المقصود من الامامة انما يحصل بالقدرة والسلطان فاذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار اماما ولهذا قال أئمة السنة من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية فهو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية انتهى قال سبحانه وتعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» وأما الأحاديث فكثيرة جدا منها عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» متفق عليه . «وعن أبى الوليد عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى اثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» متفق عليه . وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال قلنا يارسول الله أفلا ننابذهم ؟ قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة» رواه مسلم . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم «إنما الامام جنة

يقاتل من ورائه ويتقى به فان أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وإن أمر بغيره كان عليه منه ». وعن عرفجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » رواه مسلم. (وفى حديث طويل عن حذيفة قال قلت كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك قال تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » رواه مسلم.
(وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا (فيما استطعتم) متفق عليه. وعنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم. وفى رواية له « ومن مات وهو مفارق للجماعة فانه يموت ميتة جاهلية » وفى رواية له أيضا « من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عن الآخر ». وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة » رواه البخارى. (وعن أبى ذر رضى الله عنه قال ان خليلى أوصانى اسمع وأطع وإن كان عبدا مجدع الأطراف) رواه مسلم. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك » رواه مسلم. وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى » متفق عليه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« من كره من أميره شيئا فليصبر فانه من يخرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » متفق عليه . وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أهان السلطان أهانه الله » رواه الترمذى . وقال حديث حسن . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون قالوا يارسول الله فما تأمرنا قال أوفوا ببيعة الأول فالأول ثم اعطوا حقهم واسأل الله الذى لكم فان الله سائلهم عما استرعاهم » متفق عليه . (وعن أبى هند وائل ابن حجر رضى الله عنه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا نبى الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم ، رواه مسلم . وعن عبد الله بن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل باع رجلا سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فان أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف) متفق عليه .

وحاصل هذه الأدلة أنها توجب طاعة أئمة المسلمين ما أقاموا الصلاة مهما جاروا أو قصروا عن حقوق الرعية يطاعون فى طاعة الله ويخالفون فى معصية الله سبحانه وتعالى وينكر عليهم المنكر ولا ينزع يدا من طاعتهم بذلك لأن الفساد الذى يحصل بالخروج من طاعتهم وبالثورة عليهم أكبر ضررا وفسادا على الرعية من الضرر الذى يصيبهم بجور الأئمة أو المعصية

التى ارتكبوها ، وليس من شرط الاقامة أن يكون معصوما بل يقترف بعض ما يقترفه شعبه لأنه واحد من أهل وقته فلابد أن يأتى بعض ما يأتونه ، ولا أحد أغير من الله سبحانه وتعالى ومع ذلك أمرنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن نطيعهم ونصبر عليهم لحكمة ومصلحة يعلمها الشارع فى ذلك ولا أحد أظلم من الحجاج ومع ذلك فالصحابة الكرام كانوا يتواصون بالصبر عليه وقد قتل منهم الوفاً صبراً غير الذين قتلهم فى الحرب والسجن ومن جملتهم قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى جوف مكة . (وعن الزبير ابن عدى قال اتينا أنس بن مالك رضى الله عنه فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان إلا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، رواه البخارى . فأمرهم بالصبر والثبات وسلاهم بأن أهل الزمان الآتى أشر من أهل زمانهم الذين يشتكون منهم ثم أكد لهم ذلك أن ما ذكر لهم أنه من كلام نبيهم . والمقصود الخروج من طاعة الائمة معصية وفساد كبير فى الارض وبالاخص فى مثل وقتنا هذا الذى أصبح فيه ملك المسلمين كالكبريت الاحمر والاعداء بالمرصاد يتحينون الفرص ، والواجب على كل مسلم عنده غيرة دينية حيثما كان وتحت كائن من كان أن يوالى ولاة المسلمين ويعتقد أنهم ولاته وعزه وشرفه يسعى لمساعدتهم وتأييدهم بكل ما استطاعه من النصح وخلافه فان ساعدهم بشىء ينبغى أن يرى أن ما صنعه صنعه لله ثم لنفسه ولأمته ولا يعتقد أنه فعل ذلك للولاة لانهم أفراد من أفراد الامة ، والمقصود أنه يجب على الشعب مساعدة الولاة فى مصالح البلاد والعباد ولا ينبغى أن يهتم كل فرد منا بمصالحه الذاتية فان مثل هذا العمل خلاف الانسانية فضلا عن أن يكون خلاف الاسلام فان الامة ان لم تتكاتف وتكن عضوا واحدا لا تكون أمة حية عاملة ولا تقوم لها قائمة أبدا .

افرض أن المسلم قد جار عليك فجور المسلم خير لك مما تتوهمه عدل من الكافر وهيهات أن يعدل الكافر وأنى يعدل وبه علتان العداوة الدينية والحكم بالطاغوت ، ويكفيك من المسلم اخوة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتذكره بالله وباليوم الآخر وبنبيه صلى الله عليه وسلم لعله يتذكر وينيب ، وعلى كل حال فالاختلاف والتنازع عاقبتهما كعاقبة السيل ومن المعلوم بالضرورة أن عاقبة السيل مهما عظم فنهايته إلى الضعف بل إلى الانقطاع والتلاشى بخلاف فيما إذا انضمت الامة بعضها إلى بعض وتكاتفت تقوت ودام لها عزها وهابها عدوها ولن يطمع فيها كما لا يطمع أن يجتاز السيل العظم فى المضيق بل ولا يفكر أنه يجتازه فكذلك لا يطمع العدو ولا يفكر فى الامة المتفقة المتكاتفة ، ولو أصابك الذل من المسلم فهو أهون فى نفسك إن كنت غيوراً من الذل الذى يصيبك ممن هو أقل منك ومع ذلك فهو عدوك وعدو دينك كما قال صفوان لأخيه كلدة حين قال فى غزوة حنين لما انكشف المسلمون فى أول وهلة ألا بطل السحر فقال له صفوان أخوه لامه وكان بعد مشركا اسكت فض الله فاك فوالله لان يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن ، ذكره ابن القيم فى زاد المعاد . وبعض الناس يقولون قائل هذا القول أبو سفيان . وما ذاك إلا أنه يرى أن الهوازن أقل منه فلم ترض نفسه بذلك . وهذه الصفة التى ذكرتها متوفرة عند مسيحى الحبشة بأبلغ ما يكون مع أنهم أمة همجية ومع ذلك يحافظون على ملكهم ووطنهم أشد المحافظة فإذا قصد العدو بلادهم بسوء وقال الملك النفير العام يستحيل أن يتخلف منهم رجل عن ذلك بل يتوجهون للقاء العدو بما تيسر لهم من الزاد والسلاح الا من حبسه العذر بمجرد ما يبلغهم الخبر .

وفى الحرب الايطالية الاولى عام سنة ١٨٩٦ ميلادى فى معركة (عدوا)

هجموا على الايطاليين والمدافع والرصاص يصب فيهم حتى قبضوهم بالايدى ، وفعلوا فيهم أفاعيل شنيعة قتلوا منهم من قتلوا وقطعوا من قطعوه من خلاف وشوهوهم ثم أرسلوهم لدولتهم ليرهبوا بهم من خلفهم . وفى الحرب الثانية خافت إيطاليا من أن يفعلوا بهم مثل ما فعلو بهم فى الحرب السابقة فبادروهم من الجو بالغاز السام : وليس من ودى — والله — أن أذكر الاعداء بخير قط ولكن أذكر ذلك لعلنا نعتبر نحن معشر المسلمين وتأخذنا الغيرة الدينية أو القومية بالاقل ونقول نحن أولى بالفعل الذى يفعله من هو دوننا اللهم الهمنا رشدنا ووفق الرعاة والرعية وهذا كله فيما إذا كان الوالى مسلما وأما الكافر فلا تجب عليك طاعته بتاتا إلا أن تتقى منه تقاه .

ما يجب على أئمة المسلمين

(س) لقد علمت ماعلى لائمة المسلمين من الحقوق فما الذى لى عليهم من الحقوق ؟

(ج) يجب عليهم إحاطة الرعية بالنصح والشفقة للقريب والبعيد والمحبوب والمبغوض ولا يكلفوهم مالا يطيقون ، وإذا حكموا بينهم حكموا بالعدل ويسووا فى الحقوق بين الشريف والوضيع وبين الصديق والبغيض قال تعالى (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) وعن مالك عن ابن هشام عن ابن يسار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص بينه وبين اليهود قال فجمعوا حليا من حلى نسائهم فقالوا هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسمة . فقال يامعشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى وما ذاك بحاملى أن أحيف عليكم أما الذى عرضتم من الرشوة فانها سحت

وإنا لا نأكلها قالوا بهذا قامت السموات والأرض ، ويلزمهم أن يتفقدوا أحوال الرعية ولا يجوز لهم أن يتجاهلوا حالهم فإنهم رعاة مسؤولون عن رعيتهم ولا يخلصهم من الله التجاهل ولا يجوز لهم الاحتجاب لأن فى ذلك ضياع حقوق الضعاف من الرعية الذين لا يستطيعون أن يصلوا إليهم وإذا دعت الضرورة إلى الاحتجاب ينبغى أن يجعلوا فى حاجات الناس خيار الناس لتبليغ حاجة الضعيف والمظلوم كما سيأتى عن معاوية رضى الله عنه ، ويجب عليهم أيضا أن يولوا كل عمل كفء له بدون ملاحظة القرابة والعداوة والمحبة مالم تكن العداوة دينية أو مسلم يخاف من خيانته كما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : (من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » . وفى رواية « من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » رواه الحاكم فى صحيحه وروى بعضهم أنه من قول عمر رضى الله عنه . وقال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » ، قال العلماء هذه الآية نزلت فى ولاة الأمور . وقال تعالى : « إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن

رعيته ، متفق عليه . وعن أبي يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ، متفق عليه. وفى رواية لمسلم « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به » رواه مسلم . وعن أبي مريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة ، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس رواه أبو داود والترمذى .

وجوب طاعة الوالدين

(س) فهل تلزمنى طاعة إنسان بعد طاعة أئمة المسلمين ؟ .

(ج) نعم تجب عليك طاعة والديك فى غير معصية الله ولا تنفعك طاعة خالية عن طاعتهما لأن طاعتهما هى سبب لسعادتك فى الدنيا والآخرة ورضى الله وسخطه معلق برضاهما وسخطهما فان رضيا عليك رضى الله عنك وإن سخطا عليك سخط الله عليك بسخطهما ، وحسبك فى ذلك أن الله يأمر الإبن أن يعامل والديه بالمعروف فى الدنيا مع كفرهما بالله ويخالفهما فى الكفر قال تعالى : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » . وقال تعالى : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » . وقال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى » إلى آخر الآية . وقال تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك » . وقال تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حسنا » . والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا منها عن أبى عبد الرحمن بن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله » متفق عليه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجزى ولد والدآ إلا أن يجده مملوكا فيشتريه ويعتقه » رواه مسلم . (وعن سعيد بن أبى بردة قال سمعت أبى يحدث أنه شهد ابن عمر رجلا يمانيا يطوف بالبيت حاملا أمه على ظهره يقول :

إنى لها بعيرها المذلل   إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال يا ابن عمر أترانى جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة) .

(وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال انى لى امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة » فان شئت فاضع ذلك الباب أو احفظه) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال : « أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك » متفق عليه . وفى رواية يارسول الله من أحق بحسن الصحبة قال : « أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك » وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عنده الكبر

أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة ، رواه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال أقبل رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى فقال ، هل لك من والديك أحد حى قال نعم بل كلاهما قال فتبغى الأجر من الله تعالى قال نعم قال فارجع إلى والديك فاحسن صحبتهما ، متفق عليه . وهذا لفظ مسلم . وفى رواية لهما جاء رجل فاستأذنه فى الجهاد قال : ، أحى والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ، (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبا إلا فتح الله بابين يعنى من الجنة وإن كان واحدا فواحد وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل وإن ظلماه قال وإن ظلماه ،. وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قالوا بلى يارسول الله قال الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا ألا وقول الزور مازال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، .

بر الوالدين بعد موتهما

(س) فهل يبقى على من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟

(ج) نعم يبقى عليك ما تبرهما به لما أخرجه أبو داود (عن مالك ابن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما فقال نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ، إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه ، وفى رواية عنه عن ابن دينار أنه كان

إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا ملّ ركوب الدابة وعمامة يشد بها رأسه فبينما هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابى فقال ألست فلان ابن فلان قال بلى فأعطاه الحمار فقال اركب هذا وأعطاه العمامة وقال اشدد بها رأسك فقال له بعض أصحابه غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابى حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى . وان أباه كان صديقا لعمر رضى الله عنه » رواه مسلم . وفى الأدب المفرد للبخارى فقال بعض من معـــه أما يكفيه درهمان فقال قال النبى صلى الله عليه وسلم « احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفىء الله نورك » (وعن سعد بن عباد الزرقى ان أباه قال كنت جالسا فى مسجد المدينة مع عمرو بن عثمان فمر بنا عبد الله بن سلام متكئا على ابن أخيه فنفذ عن المجلس ثم عطف عليه فرجع عليهم فقال ماشيت عمرو بن عثمان مرتين أو ثلاثا فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم انه لفى كتاب الله عز وجل مرتين لا تقطع من كان يصل اباك فيطفأ بذلك نورك) الأدب المفرد وعن أبى بكر بن حزم عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كفيتك أن رسول الله قال : « ان الود يتوارث » .

حق الولد على الوالد

(س) فهل للولد على الوالد من حق ؟

(ج) نعم يلزم الوالد تأديب ولده فى الصغر ويحسن تأديبه وينصف ويعدل بين اولاده ويساوى بينهم فى العطية ولا يجوز له أن يعطى البعض ويحرم البعض الآخر (عن الوليد بن نمرة ابن أوس انه سمع أباه يقول كانوا يقولون الصلاح من الله والأدب من الآباء) الأدب المفرد .

(وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال إنما سماهم الله أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق) الأدب المفرد للبخارى . وعن سعيد بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن » أخرجه الترمذى . وفى رواية له أيضا عن جابر بن سمرة يرفعه « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » . وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال نحلنى أبى نحلا ثم أتى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهده فقال « كل ولدك أعطيته هذا(١) قال لا قال أليس تريد منهم البر مثل ماتريد من ذا قال بلى فانى لا أشهد » رواه مسلم . وفى رواية له « فلا أشهد على الجور » . وفى رواية له أيضا « لا أشهد إلا على الحق » .

وجوب صلة الرحم

(س) فهل علىّ حق لأحد غير والدىّ ؟

(ج) يجب عليك صلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما لقوله تعالى « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » وقال تعالى : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) وقال تعالى : (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) وقال تعالى : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وأما الأحاديث فمنها عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله

---

(١) لعل كهذا .

واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) متفق عليه . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال وذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرءوا إن شئتم : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) متفق عليه وفى رواية للبخارى فقال تعالى : (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله) متفق عليه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عنهم ويجهلون علىّ فقال : (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك) رواه مسلم (الملّ : الرماد الحار) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها) رواه البخارى . وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم) متفق عليه . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثرة فليصل رحمه) متفق عليه . وقال ابن عمر رضى الله عنهما : (من اتقى ربه ووصل رحمه نسىء فى أجله وثرى

ماله وأحبه أهله) وعن أبى محمد جبير بن مطعم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع . قال سفيان فى روايته يعنى قاطع رحم » متفق عليه . وعن عيينة بن عبد الرحمن قال سمعت أبى يحدث عن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من قطيعة رحم والبغى » . (وعن أبى نجيح عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلال وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتى فقدمت عليه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت قال أنا نبى قلت وما نبى قال أرسلنى الله قلت بأى شىء أرسلك قال أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شىء قلت فمن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضى الله عنهما . إلى آخر الحديث) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص وقال يابنى عبد شمس يابنى كعب(١) أنقذوا أنفسكم من النار يابنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها » رواه مسلم . ومعنى الحديث سأصل الرحم . وعن أبى عبد الله عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول : « إن آل فلان ليسوا

---

١ — بنى لؤى .

بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها ، متفق عليه.
(وعن أبى أيوب سليمان مولى عثمان بن عفان قال جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال أحرج على كل قاطع رحم لما قام من عندنا فلم يقم أحد حتى قال ثلاثا فأتى فتى عمة له قد صرمها منذ سنتين فدخل عليها فقالت له يا ابن أخى ما جاء بك ؟ قال سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا قالت ارجع إليه فسله لم قال ذلك ؟ قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول إن أعمال بنى آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم) الأدب المفرد للبخارى وعن سليمان أبى آدم قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم) الأدب المفرد .

حق الجار على الجار

(س) فهل علىّ حق لأحد لغير ذى رحم ؟

(ج) نعم عليك حق لجارك وإن جار عليك وتعدى قال تعالى «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا قال رسول صلى الله عليه وسلم (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) متفق عليه .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله ؟ قال الذى لايؤمن جاره بوائقه) متفق عليه . (البوائق : الغوائل والشرور) .

وفى رواية لمسلم (لايدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) وعنه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت) متفق عليه . وعن أبي شريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) إلى آخره . رواه مسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ؟ قال : (إلى أقربهما منك بابا) رواه البخارى . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره) رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) رواه مسلم . وفى رواية لمسلم أيضا (عن أبي ذر قال إن خليلى صلى الله عليه وسلم أوصانى إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف) . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) متفق عليه . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره) ثم يقول أبو هريرة (مالى أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم) متفق عليه . قوله مالى أراكم عنها معرضين يعنى هذه السنة .

(وعن محمد بن سعد قال سمعت أبا ظبيه الكلاعى قال سمعت المقداد بن الأسود رضى الله عنه يقول سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الزنى قالوا احرم حرمه الله ورسوله فقال لأن يزنى الرجل بعشر نسوة

أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره وسألهم عن السرقة قالوا حرام حرمه الله عز وجل ورسوله فقال (لأن يسرق من عشرة أهل أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره) الأدب المفرد .

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قيـل للنبى صلى الله عليه وسلم أن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذى جيرانها بلسانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فيها هى من أهل النار قالوا وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثواب ولا تؤذى أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى من أهل الجنـة) الأدب المفرد للبخارى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله إن لى جارا يؤذينى فقال : « انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليـه فقالوا ما شأنك قال لى جار يؤذينى فذكرت للنبى صلى الله عليـه وسلم فقال انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم اخزه فبلغه فأتاه فقال ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك » الأدب المفرد . (وعن أبى جحيفة رضى الله عنه شكا رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم جاره فقال احمل متاعك فضعه على الطريق فمن مر به يلعنه فجعل كل من مر به يلعنه فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما لقيت من الناس فقال ان لعنة الله فوق لعنتهم ثم قال للذى شكا كفيت أو نحوه) الأدب المفرد .

(وعن عصام بن خالد قال حدثنا أرطاة بن المنذر قال سمعت أبا عامر الحمصى قال كان ثوبان يقول ما من رجلين يتصارمان فوق ثلاثة أيام فيهلك أحدهما فماتا وهما على ذلك من المصارمة إلا هلكا جميعا وما من جار يظلم جاره ويقهره حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله إلا هلك) الأدب المفرد . (وعن مجاهد قال كنت عند عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما وغلامه

يسلخ شاة فقال يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودى فقال رجل من القوم اليهودى أصلحك الله قال انى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالجار حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه) الأدب المفرد .

وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

(س) فما بقى علىّ بعد هذا من الحقوق بينى وبين الأقارب وسائر الناس ؟

(ج) بقى عليك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما واجبان عليك للقريب والبعيد والشريف والوضيع ولا يتركان للومة لائم ولا لظلم ظالم .
ولكن هنا ينبغى لك أولا أن تعلم أربع أشياء .

أولا : أن تكون عالما بما تأمر به وتنهى عنه ببرهان من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا بوهم وظن وقيل وقال فلعلك تأمر بالمنكر وتظن أنك تأمر بالمعروف أو تنهى عن المعروف وتظن أنك تنهى عن المنكر كما هو واقع فيه كثير من الناس قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » .
وفى الحديث الذى أخرجه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن عبد الرحمن ابن حسنة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لم أنكر المعروف بجهل « ويحك ما علمت ما أصاب صاحب بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم فعذب فى قبره » .

ثانيا : أن يكون بلطف ولين فان ذلك أوشك وأحرى لقبول قولك قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

ثالثا : أن تصبر على ما أصابك فى سبيل ذلك قال تعالى مخبرا بقول لقمان لابنه (يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) .

رابعا : أن تكون أنت بنفسك عاملا بما تأمر به ومجتنبا عما عنه تنهى فذلك أدعى لقبول قولك وأسلم لك من الوقوع فى المهلكة والوعيد . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » وقال تعالى اخباراً عن شعيب « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » . وعن أبى زيد أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » متفق عليه . قوله تندلق معناه تخرج والأقتاب الأمعاء وأحدها قتب . والمقصود أن الله أمر بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأخبرنا سبحانه وتعالى أن هذه الأمة لم تكن خير أمة إلا لقيامها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » قال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وقال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقال تعالى : لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » . وقال تعالى : وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وقال تعالى : « فاصدع بما تؤمر » وقال تعالى : « أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » وأما الأحاديث الواردة فيه فمنها عن أبى سعيد

الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم . وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى وقال حديث حسن . (وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .
وعن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخارى . وعن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبى أمية حذيفة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنه يستعمل عليكم

أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، رواه مسلم . وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والجلوس فى الطرقات فقالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم إلا الجلوس فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يارسول الله قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، متفق عليه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده فقيل للرجل بعد ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به قال لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) . (وعن أبى عبد الله طارق بن شهاب البجلى الأحمسى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغرز أى الجهاد أفضل ؟ قال كلمة حق عند سلطان جائر) رواه النسائى بأسانيد صحيحة (وعن أبى سعيد الحسن البصرى أن عائذ بن عمرو رضى الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال أى بنى أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان شر الدعاء الحطمة ، فاياك أن تكون منهم فقال له اجلس فانما أنت نخالة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم ، رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول مادخل النقص على بنى إسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه

وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال ، لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ، إلى قوله «فاسقون» ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم . رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن هذا لفظ أبى داود ولفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذى نفسى بيده حتى ، تأطروهم على الحق أطراً ، قوله تأطروهم أى تعطفوهم . ولتقصرنه أى لتحبسنه .

الخلق الحسن

(س) فماذا يلزمنى بعد هذا ؟

(ج) يلزمك أن تتخلق بخلق حسن وتعامل الناس بخلق حسن فانه سيد الأخلاق وقائد إلى الخيرات وعليه تدور رحى الانسانية قال الله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » وقال تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . (وعن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا) متفق عليه (وعنه أيضا لقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى قط أف ولا قال لشىء فعلته لم فعلته؟ ولا لشى لم أفعله إلا فعلت كذا) متفق عليه . وفى السنن عن النبى صلى الله

عليه وسلم إن أثقل مايوضع فى الميزان الخلق الحسن) . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأم سلمة « يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة » . (وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال (البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم . (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وكان يقول (ان من خياركم أحسنكم أخلاقا) متفق عليه . وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش البذىء) رواه الترمذى وقال حديث صحيح . البذىء : هو الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام . (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعنه أيضا قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : (اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) رواه أبو داود . وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه) حديث صحيح رواه أبو داود باسناد صحيح . الزعيم : الضامن . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا

وان من أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون
قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون)
رواه الترمذى وقال حديث حسن . والثرثار : هو كثير الكلام تكلفا .
والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه
والمتفيهق : هو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويعرب به تكبرا وارتفاعا
(هكذا فسره النووى رحمه الله) . (وروى الترمذى عن عبد الله بن المبارك
رحمه الله فى تفسير حسن الخلق قال هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف
الأذى ، أقول ولا يبعد الحلم أن يكون منه لقوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » وفى الحديث المتفق عليه (عن أنس رضى الله
عنه قال كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى
غليظ الحاشية فأدركه إعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة
عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته
ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له
بعطاء ، متفق عليه (وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الحديث الطويل
المرفوع الذى رواه مسلم « وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه » أى
يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه به وهذه أربع كلمات من جوامع كلامه
صلى الله عليه وسلم وهى ضابط حسن الخلق لأنك إذا لاحظت من نفسك
مايرضيك من الناس علمت أنه يرضيهم ذلك منك وعاملتهم بمثله وإذا لاحظت
من نفسك ما يسوؤك منهم علمت أن ذلك يسوؤهم كما يسوؤك وتجنبته
وصلى الله على صاحب جوامع الكلم . (وفى الأدب المفرد للبخارى عن
موسى بن اسماعيل قال حدثنا عبد الله بن حسان العنبرى قال حدثنا حبان بن
عاصم وكان حرملة أبا أمه فحدثتنى صفية ابنة عليبة ودحيبة ابنة عليبة وكان

جدهما حرملة أبا أبيهما أنه أخبرهم عن حرملة بن عبد الله أنه خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فكان عنده حتى عرفه النبى صلى الله عليه وسلم فلما ارتحلت قلت فى نفسى والله لآتين النبى صلى الله عليه وسلم أزداد من العلم فجئت أمشى حتى قمت بين يديه فقلت ما تأمرنى أعمل ؟ قال ياحرملة ائت المعروف واجتنب المنكر ثم رجعت حتى جئت الراحلة ثم أقبلت حتى قمت مقامى قريبا منه فقلت يا رسول الله ما تأمرنى أعمل ؟ قال ياحرملة ائت المعروف واجتنب المنكر وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فأته وانظر الذى تكرهه أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه فلما رجعت تفكرت فاذا هما لم يدعا شيئا .

النصيحة وتعريف البدعة والتحذير عنها وكلام أهل العلم فيها

(س) ثم ماذا يلزمنى بعد هذا كله ؟

(ج) يلزمك أن تتق الله ما استطعت وتجنب مانهيت عنه وتؤدى الحقوق الواجبة عليك وفق الكتاب والسنة وقد سبقت لك الأدلة من الكتاب والسنة الموجبة اتباعهما دون غيرهما فان لم تجد الحكم فيهما خذ بأقوال أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم فانهم على نور من نبيهم صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم فان لم تجد الدليل من أحد الثلاثة فانظر فى أقوال العلماء فخذ من أقوالهم ما هو أقرب إلى الدليل واجتنب البدعة لأنها بريد الكفر ورأس الضلالة بعد الشرك بالله سبحانه وتعالى ولقد أغنانا الله عنها بما أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها) .

(س) ما البدعة التى تنهانى عنها فهمت الاسم ولم أفهم المسمى ؟

(ج) البدعة هى إحداث حكم دينى لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم أو إحداث صفة الحكم المشروع لما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه أتاه رجل فأخبره أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فاخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى عبد الله بن مسعود فجاءه وكان رجلا حديدا فقال أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ولقد فضلتم على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما(١)

ولا شك أن الذكر هو من أفضل القربات وإنما أنكر عليهم رضى الله عنه الصفة المحدثة التى لم يعهدها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يجدها فى كتاب الله تعالى .

واعلم أن البدعة هى أكبر فرصة انتهزها إبليس اللعين من بنى آدم وأن أهلها أضل ضلالا وإن رأوا أنهم أهدى سبيلا قال تعالى : (فماذا بعد الحق إلا الضلال) . وقال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) . وقال تعالى : (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) قالت العلماء أى إلى الكتاب والسنة . وهذه الآية هى التى تبتر دعوى كل مبتدع لأن الكتاب والسنة اللذين أمرنا الله بالرجوع إليهما فيما اختلفنا فيه هما شاهدا عدل فمن شهد لعمله أحدهما أو كلاهما صحت دعواه أنه على السنة ومن لم يشهد لعمله أحدهما أو كلاهما بطلت دعواه أنه على السنة وظهر أنه من المبتدعة الضالة ما لم يراجع

---

١) ذكره ابن الجوزى فى التلبيس .

الحق . وحاصل دليل البدعة عَدَمى كما تقول النحاة الحرف ما ليس له علامة يجعلون خلوه عن العلامة دليلا بأنه حرف فكذلك أى عمل دينى لم يكن له أصل صحيح ثابت عن الشارع ولم يعهد فى عهد السلف الصالح دليل بأنه عمل مبتدع محدث نخيبه الله على محدثه ومن تبعه والأحاديث صريحة بنحو ماذكر .

وقال العز بن عبد السلام (الشرع ميزان يوزن به الرجال والأقوال والأعمال والمعارف والأحوال فمن رجحه ميزان الشرع فهو راجح . ومعظم الناس خاسرون وأقلهم رابحون فمن أراد أن ينظر فى خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة فاذا وافقهما فهو الرابح أن صدق ظنه فى موافقتهما وإن كذب ظنه فيا حسرة عليه) انتهى إلى هنا بالاختصار .

وفى الحديث عن عبد الله قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه ثم قرأ « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه . (وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) أى مردود إلى صاحبه غير مقبول منه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته (أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفى حديث آخر (فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) . رواه أبو داود والترمذى فى ضمن حديث طويل . وروى أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أنه قام فقال ألا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا

فقال (ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة ستفترق على ثلاثة وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة) وأنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، قال سفيان الثورى (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية . المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها) وقال أيضا (من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة) ذكره ابن الجوذى فى التلبيس هو وما بعده . قال سعيد الكريرى (مرض سليمان التيمى فبكى فى مرضه بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك أتجزع من الموت قال لا . ولكنى مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه) قال ابن الجوذى وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعا عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام) . وعن محمد بن سهل البخارى قال : (كنا عند القربانى فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلىّ من عبادة ستين سنة) . وقال الليث ابن سعد (لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته) فقال الشافعى : (انه ما قصر ولو رأيته يمشى على الهواء ما قبلته) . وعن بشر بن الحارث أنه قال (جاء موت هذا الذى يقال له المريسى وأنا فى السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكرا ، الحمد لله الذى أماته ، وقال العز بن عبد السلام (فاذا رأيت إنسانا يطير فى الهواء أو يمشى على الماء أو يخبر عن المغيبات ثم يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة فإن الدجال

يحيي ويميت فتنة لأهل الضلال وكذلك يأتي الخربة فتبث كنوزها ويظهر للناس أن معه جنة وناراً وناره جنة وجنته نار) وعن سفيان بن عيينة قال (سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبي العالية قال : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يتفرقوا . قال عاصم فحدثت به الحسن فقال : قد نصحك والله وصدقك . وقال سفيان لايقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية . ولا يستقيم قول وعمل ونيـة إلا بموافقة السنة ، قال الجنيد بن محمد : (الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلق الله تعالى : إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته كما قال الله تعالى عز وجل : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

اللهم علمني علما نافعا ووفقني للعمل به وجنبني سيء الأعمال واصلح لى نيتى واجعل خير أعمالى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك واجعل ماتعلمه منى خيرا مما يعلمه الناس منى واجعل باطنى خيرا من ظاهرى واصلح لى علانيتى فيارب من لى سـواك أدعوه فيستجيب لى فاغفر لى ما قدمت وما أخرت فإنك على ما تشاء قدير نعم المولى ونعم النصير .

إلى هنا انتهى ما يسر الله لى وكان الفراغ من تبييض هذه الوريقات
فى عشرة شعبان سنة ١٣٧٢
والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على سيد الأنام
وآله وصحبه الكرام

الفهرس

مطبعة
دار نشر الثقافة
القاهرة : ٥ شارع سيف الدين المهرانى بالفجالة
الاسكندرية : ٨ شارع الراضى بمحرم بك

فهرس الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
١	٦	موس	موسى
٣	١	أنك أنك	أنك أنت
٣	١٢	يبدوها	يبدونها
٧	١٠	الا بينة	الا ببينة
١٣	١٥	واجد	واحد
١٥	١٠	فما	فيما
١٦	٦	ولاذموا	ولازموا
١٧	٢	المسلمين	المسلمون
١٧	٢٢	ان يؤده	ان يؤوه
١٨	٢٢	ويجنبهم	ويجنبنهم
٢١	١٥	الثلاثة	لثلاثة
٢٣	١٣	عن	عنق
٢٤	٧	واسأل	واسألوا
٢٥	١	الاقامة	الامامة
٣٢	١٣	لانقطع	لاتقطع
٣٤	٥	وذلك	فذلك
٣٤	٢١	فى اثرة	فى أثره
٣٦	٢٠	لايؤمن	لايأمن
٣٧	٢٢	احرم	حرام
٣٩	١٤	لم أنكر	لمن أنكر
٤٢	٩	الى حجرة	الى جمرة
٤٢	١٦	الدعاء	الرعاء
٤٣	٣	وكانوا	كانوا
٤٦	١٢	وتجنب	وتجتنب
٤٧	٣	الحكم	للحكم
٤٧	١٤	ضلالا	الضلال
٤٩	٧	الجوذى	الجوزى
٤٩	١٠	الجوذى	الجوزى